المدارس القرآنية التقليدية

(أدوار وإنجازات، تحديات وحلول)

الباحث : د. تجاني زبير رابع

مركز البحوث والدراسات القرآنية

جامعة بايرو كنو نيجيريا.

E-mail: tzrabiu.isl@buk.edu.ng

Phone: 08027747287

ملخص البحث

يتمحور البحث حول "**المدارس القرآنية التقليدية** – أدوار وإنجازات، تحديات وحلول" والمدارس القرآنية التقليدية هي الكتاتيب أو ما يعرف محليا بمدرسة اللوح أو المدرسة المحمدية،

وهي مؤسسة من مؤسسات التربية الإسلامية الأصيلة، ويهدف البحث إلى إبراز دور هذا النوع من المدراس وإسهاماتها المباركة في المجتمع الإسلامي ككل، والنيجيري على وجه الخصوص، وقد سلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي للقضايا المطروحة ، ثم استخلص إلى أن الكتاتيب القرآنية أسهمت في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومحو الأمية. ومن أهم السبل للنهوض بها المحضرة النموذجية.

Abstract

The research focuses on "Traditional Qur'anic Schools - Roles and Achievements, Challenges and Solutions" the traditional Qur'anic Schools are the Kataeb or what is known locally as Al-Louh School or Muhammadiyah School,

It is an institution of authentic Islamic education, the research aims to highlight the role of this type of schools and its blessed contributions in the Islamic community as whole, and Nigerian in particular, the researcher followed the descriptive analytical approach to the issues raised, and then it was concluded that the Traditional Qur'anic Schools contributed to preserving the Islamic identity And literacy. And one of the most important ways to advance it is the (Madrasa Annamuzajiyya).

الكتاتيب القرانية النشأة والتكوين.

– أطلق على المدارس القرآنية التقليدية أسماء عديدة مثل: (مَكَرَنْتَا أللو) بلغة الهوسا في نيجيريا والنيجر و(دُودَالْ) بلغة الصنغاي الزرما[1] و(دُغْسِي) في الصومال، كما يطلق عليها اسم (الدارا) في السنغال و(غَرِيبُ) في مالي و(المسيد) في المغرب و(الخلوة أو الخلاوي) في السودان و(الكتَّاب) في جمهورية مصر العربية و(المحاظر) في جمهورية موريتانيا الإسلامية و(الكتاتيب) في بلاد الشام وغير ذلك.[2]

المدرسة القرآنية التقليدية: الكتاتيب (مدرسة اللوح أو مكرنتر أللو أو مكرنتر محمدية)، والمكْتَبُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ والجمع الكُتَّابُ والكَتَاتِيبُ[3]

والكُتَّاب عبارة عن مكتب تعليمي، وفيها يتعلم أطفال المسلمين القراءة والكتابة وأحكام تلاوة القرآن الكريم. ويعد الكُتَّاب خطوة نحو تطوير المنشآت التعليمية بعد أن ضاقت المساجد عن استيعاب أعداد المتعلمين صغارًا وكبارًا، الفقراء والمساكين، في المدن والقرى على حد سواء، فانتشرت في كل بلاد المسلمين.[4]

والمشهور أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من جمع الأولاد في المكتب ، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه في بيت المال[5]

وقال الشيخ آدم عبد الله الإلوري إن اسم المكتب كان معروفا للعرب قبل الإسلام ، وكان يطلق على المكان الذي يتعلم فيه التلميذ الكتابة والقراءة ثم تطورت إلى استعمال اسم الكتاب بصيغة الجمع نظرا لكثرة من يكتب هناك من المعلمين والمتعلمين، وكان في الأول يطلق عليه "مجلس الكتاب" ثم حذف المضاف وبقي المضاف إليه، "الكتاب" وكان ظهوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[6]

ويرى آخرون أن ظهورها كان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأنه كان في أول الأمر يعلم أولاد الملوك والأمراء وهو معلم الصبيان،[7] ومهما يكن فإنها ظهرت في عهد مبكر واستمرت تتنوع حسب المكان المقامة فيها بين الحواضر والريف والبوادي،

قال شاعر وهو العلامة المختار ابن بون الجكني ت 1220هـ :-

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرا دون أندادا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الـــــلـــــه تبيانا[8]

ومن أبرز من لمعت أسماؤهم في هذه الكتاتيب من المعلمين في الماضي الضحاك بن مزاحم (ت 105هـ، 723م)، والكميت بن زيد (ت 126هـ، 743م)، وعبد الحميد الكاتب (ت 132هـ، 749م).

ومن أشهر الكتاتيب، الكتاب الذي أسسه أبو القاسم البلخي (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي)، وقد بلغ عدد تلاميذه في وقت من الأوقات ثلاثة آلف 3,000 تلميذا. وتدل الرويات على أن هذا الكتاب بجانب استقلاله عن المسجد كان فسيحا جدا ليسع لهذا العدد الكبير، ولهذا كان يحتاج البلخي أن يركب حمارا ليتردد بين هؤلاء الطلبة وليشرف على جميع تلاميذه. [9]

أدت الكتاتيب دورًا كبيرا في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والمواد الشرعية والدينية، كما أسهمت في نشر العلم وتعليم القراءة والكتابة، خاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم.

والغالب هنا في نيجيريا أن تكون الكتاتيب في دهليز المعلم أو في المسجد، أو دهاليز الجوار وقد تكون تحت أحد الأشجار، ويتمّ التّعليم فيها بصورة تقليدية والمعلّم هو كلّ شيء في هذه الكتاتيب، ولا يفتقر إلى إعداد وتأهيل فيكفي حفظه للقرآن الكريم وإتقانه أو حفظ أجزاء منه والقدرة على القراءة والكتابة . ويلتحق بها المتعلّمون في سنٍّ مبكّرٍ جدّاً، ومنهم من يواصل التّعليم فيها حتّى يُتمّ حفظ القرآن، ومنهم من يتوقّف ويكمل تعليمه في المدارس النّظامية.

المحضرة : (ظنغيا) TSANGAYA مرحلة متقدمة عن الكتاتيب ومتداخلة معها من حيث التلمذة والمنهج وغالبا ما تكون خارج المدن لينتقل إليها الطلبة المتخصصون في حفظ القرآن الكريم وفد يذهب إليها الصغير قبل مرحلة الحفظ، وهي مؤسسة من مؤسسات التربية الإسلامية الأصيلة، تحمل بعض خصائص النظام التربوي الإسلامي. فهي جامعة شعبية بدوية منتقلة تلقينية فردية طوعية الممارسة.[10]

نشأتها : وأصلها كان من قصور الرباط : وهي الحصون التي تنشأ قريبًا من السواحل غالبًا، وتتخذ لمراقبة العدو القادم من البحر، وقد بدأ إنشاؤها من منتصف القرن الثاني للهجرة على يد بعض ولاة الدولة العباسية بإفريقيا، منهم هرثمة بن أعين الذي بنى قصر رباط المنستير سنة 180هـ ، ثم تكاثرت وشاعت على يد أمراء الدولة الأغلبية، بحيث إن الإشارات الضوئية التي كانت تستعمل للإنذار بالخطر

بين هذه المراكز، كانت تصل من سبتة بالمغرب إلى الإسكندرية في ليلة واحدة . ولقد قامت المحاضر بدور كبير في الحفاظ على الشخصية الإسلامية في هذه الناحية من العالم الإسلامي.

ومن سماتها:

1 – أنها جامعة تقدم للطلبة موسوعات من المعارف في مختلف الفنون بدءا بالقرآن الكريم والتجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث وفنونه والعقيدة والفقه والسيرة والتاريخ والأخلاق واللغة العربية وغير ذلك.

2 – أنها بدوية، وإن وجدت في المدن فظهورها في البوادي أبين، وهي فريدة من نوعها ولا يكاد يتصورها من لم يرها.

3 – أنها تلقينية ، والعلم يتلقى من أفواه الرجال لا في بطون الكتب فقط.

4 – أنها فردية في طرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب ، من الطرف الأول يدير حلقات الدراسة ومجالسها في العادة شخص واحد وهو الأستاذ، وإليه تنسب المحضرة عادة، (يقال ظن غير طن كللوري أو ظن غير بوزن قومي) ومن الطرف الثاني تؤدي المحضرة رسالتها وفق نظام التعليم الفردي، فالقاعدة هي أن يكون لكل طالب درس خاص به يختاره لنفسه حسب ظروفه الخاصة

5 – أنها طوعية، تقوم على أساس من التطوع والمبادرة الحرة ونشأ من ذلك علاقة حميمية بين الطالب والأستاذ وينظرون إليه بعين المحبة والتقدير والاجلال منقطع النذير.

6 – أنها شعبية، تستقبل كل من يرد إليها من جميع مستويات، الطفل والشيخ والفقير والموسر وتبذل لكل طالب مايريده من ضروب المعرفة حسب مستواه. [11]

ومن أهداف المحاضر :–

1 – تحفيظ القرآن الكريم وإتقانه وجعله دستورا للحياة.

2 – تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ومنهاجا وسلوكا.

3 – تكوين دعاة قادرين على تحمل مسؤولية الدعوة إلى دين الله تعالى

4 – ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية.

5 – المحافظة على التراث الإسلامي الموجود [12]

ولقد بلغ عدد المدارس الإسلامية وكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم في عهد الدولة العثمانية الفودبية أكثر من (25.000) مدرسة، وأن عدد الطلاب الذين يدرسون فيها يبلغ حوالي (250.000) [13].

ومن العلماء يقول الوزير غطاط بن ليما في كتابه " بسط الفوائد" أن من طبقة العلماء من طبقة الشيخ أي المجدد عثمان ابن فودي آنذاك كان حوالي 105 عالما وأن من الطبقة التي تليهم كان هناك (175) عالما ومن طبقته هو أي الوزير (145) عالما، هذا خلاف ما لم يذكره من الشيوخ والطلبة والصلحاء.[14]

دور المدارس القرآنية التقليدية وإنجازاتها.

ولقد كان التّعليم ولا يزال مصدر عزّ الأمم والمجتمعات، وسرّ سعادتها وتحضُّرها وتقدّمها، فبقدر ما تتعلّم الأممُ وتهتمُّ بتعليم أجيالها الصّاعدة، بقدر ما تحافظ على هويّتها ووجودها وبقائها، وعلى العكس، فما أهملت أمَّة قط تعليم شبابها، وإعدادهم إعدادًا بنَّاءً أصيلاً، إلا أُصِيبَتْ في صميمها، وعاشت ذليلةً مهينةً في مؤخرة الأمم، وعلى هامش الحضارات.

ويفيد تاريخ هذه المنطقة أي غرب افريقيا أنّه لا يُعرف أيّ تعليم سابقاً سوى التّعليم القرآني. وبتعلم القرآن الكريم والكتابة العربية انتقل تاريخ هذه المنطقة من مرحلة الرّواية الشّفهية إلى مرحلة التّدوين. وما زال تعليم القرآن والعلوم الإسلامية ينمو ويتطوّر في دهاليز العلماء والكتاتيب والزوايا والمساجد والجوامع.[15]

اكتسبت المدارس القرآنية المنتشرة في جميع أنحاء نيجيريا أهمية كبرى في نفوس المسلمين؛ حيث كانت هذه المدارس هي جهة التعليم الأساسية، وكان لها في السابق دور كبير في حفظ الهوية الإسلامية؛ واستطاعت الصمود في وجه التحديات التي كانت تستهدف طمس الهوية للشعوب الإسلامية ، بل يفيد تاريخ هذه المنطقة أنّه لا يُعرف أيّ تعليم سابقاً سوى التّعليم القرآني العربي الإسلامي.[16]

وثقافة غرب أفريقيا قبل الإسلام هي نظام أرستقراطي بحت، حيث يتوارث الحكّام مناصبهم كابراً عن كابر، وزمام الأمر بيد الملوك، ويعاونهم أمناؤهم من كبار مواليهم المخلصين لهم، ومن رؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ومن كهنتهم المشيرين لحركاتهم. أمّا القضاة فكبير كلّ عائلة قاضيها، ورئيس كل قبيلة حاكمها، وقاضي القضاة هو الملك الّذي يَعْتبر نفسَه نائباً عن الله في أرضه. ولكلّ كبيرٍ ورئيسٍ حقُّ سماعِ القضايا الصّغرى في ناحيته وولايته الخاصّة، أمّا القضايا الكبرى فإنّها تُرْفَعُ إلى مجلس الملك فيجتمع الأعيان لسماعها، والنّظر فيها، وليس لهم قانون مدوّن في كتابٍ، إنّما يحفظون في صدروهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعاداتٍ. وبتعلم القرآن الكريم والكتابة العربية انتقل تاريخ هذه المنطقة من مرحلة الرّواية الشّفهية إلى مرحلة التّدوين، كما وجدت اللّغات القومية إلى الحرف العربي الأبجدي الحفيظ على تلك اللغات.[17]

ويُعتبر التعليم الإسلامي من أكثر معطيات الحضارة الإنسانية إيجابياً في حيز المنفعة لشعوب غرب إفريقيا، حيث يفتح لهم الطّريق لاستيعاب أساليب جديدة لحضارتهم التّقليديةً ،

وقد ظلّ تعليم القرآن والعلوم الإسلامية ينمو ويتطوّر في دهاليز العلماء والكتاتيب والزوايا والمساجد والجوامع حتى جاء المستعمر الّذي حارب الفكر الإسلامي، وكل نشاط علمي يتعلق به، وعمل على نشر الثقافة الأوروبية واللّغة الإنجليزية، فأخذت اللّغة الإنجليزية تحلّ محلّ اللّغة العربية بعد أن مهّد الإنجليز لتعلّمها السّبل والأساليب ورفعوا شأن من عرفها وجعلوها لغة رسمية للبلاد، كالحالة نفسها في الدّول الّتي استعمرتها فرنسا.[18]

طبعا كان التعليم الإسلامي هو النظام التعليمي السائد قبل دخول الاستعمار.

أوجدت الكتاتيب القرانية الكثير من العلماء حتى غدا التعاليم القرآني أكثر انتشارا. وممن ساهموا من العلماء في الدراسات القرانية على سبيل المثال لا الحصر الإمام الفقيه المفسر المقرئ محيي الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي،ت (909 هـ) حضر إلى مدينة كنو وجاء بنسخة من القرآن الكريم[19] ومكث فيها برهة من الزمن وتولى القضاء والإفتاء وأخذ عنه علماؤها، وكتب لسلطان كنو محمد (رمفا) كيفية ترتيب رجال الأمير في مجلسه، من هيئة شورية على شكل لجنة الفتوى من كبار العلماء والفقهاء على ما سن الخليفتان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، كما رتب له وزير الدولة وقائد الجنود والإمام الأكبر للصلاة وقاضي القضاة وكبار العلماء وكبار الجنود وعمال الولايات، ووضع له وصية فيما يجب على الحكام في ردع الناس عن الحرام. وساعد الشيخ الملك في تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة، وكان الشيخ ذاته يجلس ويشترك في تنفيذ أمور الدولة، [20].

ثم الشيخ عبد الرحمن الزيتي الونكري، تزعّم وفد من العلماء قادما من أراضي مالي ومكث في كنو، ويعتبر من الأوائل الذين نشروا العلم في كنو واللبنة الأولى لتأسيس مركز علمي في هذه المدينة.[21] والعالم الكبير أحمد بن محمد التمبكتي الصنهاجي ت 1038هـ وغيرهم من العلماء الثقات فمنذ ذلك العهد أصبح الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

ومن العلماء (الغونايي) .. غوني ندود غوني كلا غوني حمد غوني محمد رابع غوني منذو أرزي غوني إبراهيم مي تفخيمي غوني طن زرغا غوني ممد انشاروا غوني طن كندري غوني طن بنّي وغيرهم كثيرون يضيق المكان لسردهم ومناقبهم.

والقـــرآن الكريم مصنعُ ذكاءِ الطِّفلِ حقيقةً يحاول الغرب إخفاؤها، لأنه كلّما ازدادت عدد الكلمات التي يتعلمها الطفل في سن 3-7 سنوات زاد مستوى ذكاءه العقلي وقدرته على التعبير والكلام بطلاقة وفصاحة ، وفي دراسة أجراها الإنجليز والفرنسيون حول الطفل المسلم في زمن الدولة العثمانية وجدوا أنّ

الطفل ذو 7 سنوات يتعلم 77493 كلمة من خلال حفظ القرآن وألفية ابن مالك وهذا الطفل يعادل شاب من زماننا في الثلاثين من عمره فخَلُص الإنجليز والفرنسيين من هذه الدراسة المشتركة أنّ سبب قُوّةِ الفَرْدِ المسلم الجبّارة هي كتاتيب تحفيظ القرآن العظيم، لذا قامت فرنسا وإنجلترا بإلغاء الكتاتيب وأبدلونا بالمدارس الحديثة التي تعتمد اللعب في السنين الخطيرة من حياة العقل.. التي أدَّتْ إلى تعلُّمِ الطفل المسلم فقط ٣ آلاف كلمة في حين نجدُ أنّ الطِّفْلَ الغربي يتعلّم ١٣ ألف كلمة..

وكان لهذه الكتاتيب دور مهم في محو الأميّة ، وتنوير عقولهم وصقل ألسنتهم منذ الصغر،[22]

تحديات وحلول .

فمن المشاكل والتحديات التي تواجه الكتاتيب والمحاضر وحلقات تحفيظ القرآن الكريم ما يأتي:-

1 - ضعفُ التكوينِ العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن الكريم، دون إلمامٍ بعلومِ اللغة أو التفسير، ممّا يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمِهِ، وبين الحفظِ والسلوكِ فشيوخُ الكتاتيب هم أنفسهم عليهم أن يتّخذوا القرآن الكريم منهاج حياةٍ ومشروعَ عُمُرٍ، وعلينا أن نبذُلَ جُهدَنا في تعريف المعلّمين عِظَمَ الأمانة التي يحملونها، وأنّ حفظ القرآن ليس في حفظ حروفِه فقط، ولكن بالعمل والتخلّق به.[23]

قال العلَّامة المغربيّ فريد الأنصاريّ رحمه الله : (إنّ الحفظ هو الذي مارسَهُ أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حيث كانوا يتلقّون خمس آيات أو عشرًا فيدخلون في مكابدَةِ حقائقها الإيمانيّة ما شاء الله .. وإنّ الذي لا يُكابِدُ منزلة الإخلاص ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلّق بمقام توحيد الله في كلّ شيء رغبًا ورهبًا لا يُمكن أن يُعتبرَ حافظًا لسورة الإخلاص .. ثمّ إنّ الذي لا تلتهبُ مواجيدُه بأشواق التهجّد لا يكونُ من أهل سورة المزمّل ..)[24]

فلا بدّ للشيخِ من أن يكون مربّيًا قدوةً لطلابه، منتبهًا لأخلاقهم، ولا يليق لمن يَحْفَظ القرآن أن يسبّ ويتكلّم بالكلام الفاحش، أو يجلس يحفظ القرآنالكريم ، فإذا أّذن المؤذن للصلاة يشغل نفسه بامور اخرى.

فعليه يكون واجب المعلّم ألا يركّز على التحفيظ فقط، بل يجب أن يكون هدفه تكوين شخصيّة متّزنةٍ تجمعُ بين الحفظ وجماليّة السلوك[25]

2 - إنّ بعضَ المعلمينَ لا يهتمّ بمن تحت يدِهِ بمقدار ما يهتمّ بما يجني منهم من رزقٍ زهيدٍ، وإن كان جلهم متطوّعون لا ينالون مقابل عملهم أجرًا ممّا يُشغلهم عن التفرّغ التاّم للتعليم

3 - قصور البرنامج التعليمي والتوجيهي والإرشادي والتوعي فيها عن الحِفاظ على شخصيّة اليافعين في مواجهة تحديات التطرّف والغلوّ التي تستغلّ حماس طلاب القرآن لخدمة الإسلام؛ إذ تقوم بتوجيه بعضهم إلى خدمة أهدافها الشريرة، مثل مي تشيني . وبوكو حرام، وغير ذلك

4 - ومن سلبيات الكتاتيب قديمًا وحديثًا الاهتمام بتحفيظ الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان

5 – عدم الاهتمام بطرق التعليم الحديثة التي تتناسب أكثر مع تركيبة الطفل في عصرنا وما فيها من وسائل التحفيز التي تحبّب الطالب بكتاب الله، وتجعله يتردّد على الكُتّاب بفرحٍ وشَغَف[26]

6 – عدم وجود احصاء دقيق للكتاتيب والمحاضر والحلقات في هذه البلاد، ولا أحد يستطيع أن يذكر أعدادها على وجه الدقة، لأنه عمل تطوعي وألاّ شكلي، يفتحه رجل مسلم متحمس لدينه ولكتاب ربه العظيم متى شاء وأين شاء وكيف شاء، وفي أحياء القديمة لمدن شمال نيجيريا عموما قد لا تجد ذقة أو شارعا أو طريقا إلا وفيه أكثر من مكتبة قرآنية. ومع ذلك فإن المؤسسة النظامية للتعليم لم تحافظ على التعليم القرآني واستمراريته.[27]

7 – عدم اعتراف الحكومة بهذا النوع من المدارس، وجعل كل اهتمامها بالمدارس النظامية .

8 – ضعف إمكانات الكتاتيب المادية " المتمثلة في المباني والأدوات والمرتبات"

10– افتقارها إلى المنهج التّربوي الأصيل والمعلم المدرب والوسائل التعليمية الحديثة، لأنه عمل فردي وتطوعي والمعلم هو كل شيء وفي أكثر الأحايين تعتمد الكتاتيب على ثروة المعلم ومنهجه في الحياة والدرس ويخدم التلميذ في مزرعة المعلم أو يتسول ، ويتضامن السكان في مساعدة المعلم بالصدفات والزكوة حسب الإمكان وما يقدمه أولياء أمور التلميذ الميسورون.

11 – عدم مساواة خريجيها برصفائهم[28] خريجي المدارس عند التّوظيف.

12 – اضطرارهم للعمل في أعمال هامشية. والتوسل والشعوذة. فكم من طالب يتخرج من الكتاب ثم يجلس في دهليزه وينتظر الصدقات، ثم يشتغل ببعض الطلاسم والحساب والرمل إلى الشعوذة ليسدوا رمقه.

إن الطالب في الدراسة النظامية يسأل عن رغبته ما ذا يريد أن يكون ضابطا أو طبيبا أو منهدسا أو وزيرا الخ وأما الطالب في الكتاب يتوجه إليها لا مطلب له سوى العلم ورضى الله تبارك وتعالى ومأواه الجنة، وهو مقتنع بأن طريقه غير مفروش بالورود، ومستعد لتحمل مرارة مشواره التعليمي.[29] وهذا هو الفرق الجوهري والحافظ المعنوي الذي تتمتع به المدارس القرآنية بخلاف المدارس النظامية التي كانت الغاية فيها متاع الدنيا، فإذا فقد خريجيها التوظيف يبقى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

13 – أكثر المحاولات التي تقدمها الحكومات أو الأفراد في نيجيريا للنهوض بالمدارس القرآنية (الكتاتيب) باءت بالفشل لأمور عدة منها :–

أ – إن الضربات القاسية التي واجهتها من قبل المستعمر وحكوماته جعلها تخاف وتبتعد عن كل ماهو جديد عندها ، وتعتبر ذلك من كيد اليهود، وسمعت أحد مشايخ الكتاتيب يحذر الناس حتى من علم التجويد وسماع الإذاعة ويقول إنه من دسائس اليهود علينا. وإن كان رفضها لكل تدخل خارجي في شأنها من أهم عوامل بقائها.

ب – أن الحكومات لا تنظر إلى هذه المدارس إلا عند الكلام عن المتسولين في الشوارع ، فتنظر اليها كانها مظاهرات تبهتها عن كل ما تقوله في وسائل الإعلام من أنها تحسّن وضع التعليم في البلاد. فأول ما يواجه الزائر من الخارج عند وقوفه في الإشارة هو جمع غفير من المتسولين الصغار بعضهم طلاب الكتاتيب القرآنية.

ج – عندما تولي الحكومة من يقوم بتشفي المسألة لا تسند الأمر إلى أهله الذي له معرفة بجذور المشكلة، فتولي من كان له قرابة سياسية معها فقط.

د – ثم إن هذه الحكومات تتغيير بعد كل أربع سنوات على الأقل فإذا ما ذهبت يذهب معها جل الأعمال التي بدأتها وتأتي حكومة أخرى بتوجهات مغايرة ويستبدل المسؤولون. فيتوقف الأعمال التي بدأتها الحكومة السابقة.

هـ – إن الحكومة تسمح لكل من فتح مدرسة قرآنية أو غيرها بأن يسجل في وزارة التعليم ويسمى هذا النوع من المدارس التطوعية (VOLUNTARY) وهي مشتركة بين الأهالي والحكومة، وبعد ذلك تقدم الحكومة المنهج المختار وتقدم بعض المساعدات من المدرسين وكتب المدرسية وغيرها، ولكن الاشكال هنا تأتي بعض القرارات من الدولة مغاير لأهداف الكتاتيب أو المدارس الإسلامية، فمثلا قدياًتي قرار بان تكون تدريس المواد الإسلامية لا بد أن يكون باللغة الانكليزية بدل اللغة العربية كما حصل في الماضي القريب، وحصص اللغة الانكليزية تساوي حصص القرانية في مدرسة قرانية أو تفرض مادة غربية بحتة في مثل هذه المدارس.

و – اسناد أمور الدين إلى سلطان الامراء ولا تتدخل الحكومات فيه كثيرا إلا عند حدودث بعض المشاكل.

ويلاحظ أن سلطان الأمراء قبل الإستعمار كان قويا وفعالا، فالإمارة تعتبر رمزا للإسلام وشعارا للدين كما يشعر كل المواطنين بوجوب الخضوع له والإنقياد إلي أوامره، ولهذا وحتي بعد وجود الإستعمار استمر الناس بالإنقياد إليهم، وأعطي لهم كل فرد وجوب الطاعة. فالأمراء لهم أهمية كبيرة فى نفوس

الشعب، ولا زالت منزلتهم وسلطانه كذلك، وقد جعل لهم الدستور 13% من مصادر الموارد لكل مناطق محلية التي يمتد سلطانهم إليها، وكذلك منح لهم الحق فى إدارة الشؤون الدينية، كالمساجد والمدارس، وكل ما له صلة بالدين. وإن كان الدستور اعترف بهم إلا أنه لا يعطيهم نفوذ وسلطان يتحكمون من خلالها بمصادر الدولة، وما زالت هذه الإمارات على النهج القديم في تسيير الأمور، وهذا مما أبقى المساجد والمدراس القرانية والاسلامية على النهج القديم بدون تطور والنهوض، وان كان بقاء أمور الدين بيد الامراء يحفظه من تدخل الحكومات المتعاقبة في أموره وهذا له ايجابيته.

وقال الدكتور طيب بن عمر " لا شك بأن الظروف الحالية خانقة للكتاتيب القرآنية مما جعل بعض الدراسات تصفها بأنها في مرحلة الاحتضار بالنظر الى حالة الجمود والركود التي تغشيها ، بينما وصفتها دراسات أخرى بأنها في حالة انتعاش باعتبار قابليتها للتطور ، إذا توفرت الوسائل لذلك.[30]

النقطة الثانية : حلول

ومن النادر أن ينشأ الفرد المسلم في نيجيريا دون المرور بمرحلة الكتاتيب ، فالنهوض بالكتاتيب نهوض للشعب وتطور في الدولة برمتها. ومن السبل في ذلك ما يأتي :-

1 – المحضرة النموذجية[31] : وتتركز على المبادئ التالية:-

1. احتضان مجموعة من الأطفال المتفرغين لحفظ القرآن الكريم يقيمون بشكل دائم في المركز
2. توفير الظروف المعيشية والصحية لهم ووسائل الإقامة المناسبة
3. تنظيم أوقات الدراسية بطريقة تضمن الحفظ والمراجعة اليومية
4. تخصيص حصص لتعليم العربية واللغة الاجنبية الرسمية في البلاد تهيئ الطالب لمتابعة الدراسة مستقبلا في التعليم النظامي الرسمي.

وقد نجحت هذه التجربة وتحققت في ظلها مزايا تربيوية واجتماعية مهمة منها :-

أ – مكافحة ظاهرة التسول في صفوف التلاميذ

ب – مكافحة الشعور بالدونية لدى تلاميذ القرآنية

ج – فتحت آفاقا واعدة لتلاميذ القرآن الكريم

د – بعدما كان الحفظ المبكر من الكرامات أصبح عادي وفي متناول الطلاب الأذكياء ذا همم العالية

هـ – توظيف الوسائل الحديثة في اختزال الزمن وتعويض الوسائل التقليدية ، فلم يعد اللوح الخشبي والإداوة وقلمها من الملتزامات في الدرس اليومي القرآني . يستحبّ للشيخ المعلّم أن يستخدم السبورة

لشرح بعض قواعد التجويد، أو لشرح الآيات، مراعاة للفروق الفرديّة، ولا يتمّ الاقتصار على التلقين، ففي بالِ الطفل اليوم كثيرٌ ممّا يُشغِلُهُ ويحتاجُ إلى مزيدٍ من جذب اهتمامه والعناية بـ[32].

و – أصبح روح المنافسة فيما بين الدارسين على شكل حوافز تشجيعية، وعوامل تأديبية معنوية مؤثرة، بدلا من العقاب البدني المنفر الذي كان سائدا في هذه الكتاتيب في العهد الماضي، وخلقُ جوٍّ من الراحة النفسيّة للطلاب بإشعارهم بالأمان وعدم ترهيبهم، وفي المقابل تحسيسهم بعظمة القرآن الكريم وعدم ترك المجال لهم للاستهانة بالحفظ أو بحرمة القرآن الكريم .

ز – اجراء المسابقات القرآنية المدرسية والاقليمية والدولية بربط شراكاتٍ مع الجمعيّات الإسلاميّة أو مع مؤسّسات الأوقافِ لتنظيمِ هذه المسابقات وتحفيز الحافظين والحافظات وتكريم أصحاب الأخلاق الحسنة[33]

2 – إنشاء هيئة وطنية لتشرف على كل ما هو قرآني في الدولة وأن تقوم حكومات الولايات بإجراء احصاء دقيق لجميع كتاتيب القرآنية والمحاضر والحلقات لتقوم بعملية تعليمية للقائمين على هذه المدارس.

3 – إنشاء منظمة على غرار جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية فإن تجربتها ناجحة بحمد الله .

4 – إبقاء الكتاتيب على حالها والإهتمام بأمر المعلمين والمتعلمين وتقديم الدعم والمساعدات المعنوية والمادية، وإدخال الترتيبات التي تحافظهم عن التسول. منها على سبيل المثال ، فرض وجبة على الجيران لكل فرد أو لكل عائلة، تؤخذ إلى طلاب الكتاتيب المتسولين.

النقطة الثالثة : آفاق المستقبل

تشهد الكتاتيب القرآنية جهودا ومحاولات متواضعة في آونة الآخرة في نيجيريا منها :-

1 – إن ولايات شمال نيجيريا التي أعلنت تطبيق الشريعة الإسلامية أسست مكتبا استشاريا خاصا لمسألة الكتاتيب القرآنية، وهي إحدى عشر ولاية من بين الست وثلاثين ولاية في نيجيريا، ومما خرجت به اللجان من التوصيات بهذا الصدد إنشاء مدرسة قرآنية نموذجية، وقد بدأ تطبيق هذا حتى على مستوى الفدرالي برئاسة البروفيرور شيخ أحمد غلادنثي (سفير نيجيريا بالمملكة العربية السعودية سابقا)

2 – أنشئت أقسام لعلوم القرآن الكريم بكليات الشريعة والقانون بشمال نيجيريا، ويهدف إلى جمع خريجي الكتاتيب وتدريبهم ، وبعد التخرج يتيح للطالب الفرصة لمواصلة الدراسة في جامعات

النيجيرية وغيرها، أو يلتحق بوظائف حكومية أو غيرها لأمثاله حاملي أيّ شهادة دبلوم أخرى، وقد نجحت هذه الفكرة وتخرج آلاف الحفظة لكتاب الله ويشتغلون الآن في مختلف مرافق الحياة.

3 - أنشأت حكومة النيجيرية هيئة وطنية تحت (UBEC) لمتابعة كل ما يتعلق بمدارس القرآنية.

4 – أنشأت حكومة ولاية كنو هيئة لمتابعة مدارس القرآن الكريم .

5 - إن هناك جهودا عدّة من المؤسسات الخيرية ومن المواطنيين والدول العربية والاسلامية بهذا الصدد.

6 - أسست حلقات تحفيظ القرآن الكريم للكبار مع نبذة من التفسير والقرآآت في كثير من المساجد بعد صلاة الصبح أو المغرب إلى صلاة العشاء ، وقد انتشرت هذه الفكرة انتشارا واسعا حيث أكمل الصغير والكبير حفظ القرآن الكريم مع التفسير في مثل هذه الحلقات. كما أنشأ بعض الشباب المتهمسين للقرآن الكريم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للصغار بعد صلاة الصبح مباشرة أي قبل الذهاب إلى المدارس النظامية، والتجربة تؤتي أكلها.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى نتائج كثيرة أهمها ما يأتي : –

أن ظهور الكتاتيب القرآن كان مبكرا جدا، واستمرت تتنوع حسب المكان المقامة فيها.

أدت الكتاتيب دورًا فاعلاً في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والمواد الشرعية والدينية، كما أسهمت في محو الامية ونشر العلم.

يفيد تاريخ هذه المنطقة أي غرب افريقيا أنّه لا يُعرف أيّ تعليم سابقاً سوى التّعليم القرآني. وقد ظلّ تعليم القرآن والعلوم الإسلامية ينمو ويتطوّر في دهاليز العلماء والكتاتيب والزوايا والمساجد والجوامع حتى جاء المستعمر الّذي حارب الفكر الإسلامي، وكل نشاط علمي يتعلق به،

أوجدت الكتاتيب القرانية الكثير من العلماء حتى غدا التعاليم القرآني أكثر انتشارا.

ومن المشاكل والتحديات التي تواجه الكتاتيب:–

ضعفُ التكوينِ العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، والتركيز على الحفظ دون غيره من العلوم والاهتمام بالذكور دون الاناث ثم عدم الاعتراف الحكومة بهذا النوع من المدارس وقلة الدعم مما اضطرهم إلى التسول والشعوذة، والأعمال الهامشية.

من النادر أن ينشأ الفرد المسلم في شمال نيجيريا دون المرور بمرحلة الكتاتيب ، فالاهتمام بها يطور الشعب والدولة برمتها. ومن أهم السبل للنهوض بها: المحضرة النموذجية.

إذا عمّت الكتاتيب وانتشرت يكثر الخير والنفع والفضيلة ببركة القرآن الكريم، وينشأ جيلٌ قرآنيٌّ يحفظُ عُرَى الإسلامِ، فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن، ففيه عزُّ الدين والدنيا،

التوصيات :

1 – يجب علينا التعريفَ بدور الكتاتيب في مجتمعنا والحرصَ الداعم على دعم مسيرتها وإدراكِ أهمّيتها ودورِها في ربط الطفل بالقرآن الكريم، وتربيته على الخُلُقِ والعمل الصالح، والحفاظ على اللغةِ العربيّة والهويّة الإسلاميّة في المجتمع.

2 – ينبغي الاهتمام بكلّ الوسائل التي تُسهِمُ في نشر ثقافةِ حفظ كتاب الله تعالى بين الناس.

3 – أن يحمل الشيخُ أو المعلّم (ألرمّة) رسالةً وهدفًا في تعليمه لكتاب الله تعالى، ويبتغي بذلك وجه الله خالصًا له، مربّيًا طلابه على أخلاق القرآن الكريم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم مصحف المدينة المنورة مطبعة الملك فهد

ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب : (ط 1) دار صادر – بيروت .

آسية بنسمون : الكتاتيب القرآنية، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم : العدد الثالث من مجلة مقاربات التي يصدرها المجلس الإسلامي السوري.

إلوري : آدم عبد الله : الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي، (ط 3) 1978م .

تجاني زبير : نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا. التحديات و سبل النهوض. بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية. جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. 10 جمادى الأولى 1346هـ الموافق 1 مارس 2015م.

تيجاني زبير رابع : الدكتور : مساهمة علماء نيجيريا في التفسير : بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان عام 2012م.

سكيرج سليمان أرزي كنو : الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية "الليسانس" قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، 1996م . قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا.

الطيب بن عمر: الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي : بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب افريقيا التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي – نيامي – النيجر 1430 هـ 2009م.

عبد الله سابع علي : جهود الشيخ تجاني رابع وإسهاماته في نشر القرآن الكريم والدراسات الاسلامية . بحث مقدم إلى قسم الدراسات الاسلامية والشريعة جامعة بايرو كنو للحصول على درجة الماجستير 2019م.

غلادنثي : شيخ أحمد سعيد : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 الى سنة 1966م المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية 1993م

الفلاتي : الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد ، الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديث الكويت الطبعة الأولى سنة 1415هـ 1994م .

محمد بن سيدي محمد مولاي : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الاولى 1429-2008م

الموسوعة العربية العالمية : عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

مولاي: حسن : ديناميكية الجمعيات الإسلامية في النيجر، بحث غير مطبوع

النحوي: الخليل : بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس 1987م

الودغيري: عبد العلي: الدكتور: ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع .

الهوامش

[1] انظر : مولاي: الدكتور حسن : ديناميكية الجمعيات الإسلامية في النيجر، بحث غير مطبوع ص 17.

[2] انظر : آسية بنسلمون : الكتاتيب القرآنية، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم : العدد الثالث من مجلة مقاربات التي يصدرها المجلس الإسلامي السوري ص 51-57

[3] ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ، (كتب)

[4] إلوري : آدم عبد الله : الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي، الطبعة الثالثة. 1978م . ص 17

[5] انظر : سكيرج سليمان أرزي كنو : الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية "الليسانس" قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، 1996م . قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا. ص 7

[6] انظر : إلوري : آدم عبد الله : الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي . ص 18

[7] تجاني زبير رابع : نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا. التحديات وسبل النهوض. بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية. جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. 10 جمادى الأولى 1346هـ الموافق 1 مارس 2015م. ص 13

[8] انظر : محمد بن سيدي محمد مولاي الدكتور : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الاولى 1429-2008م 23/1

[9] انظر : الموسوعة العربية العالمية : عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية. مادة (الكتاب)

[10] انظر : النحوي: الخليل : بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس 1987م ص 53

[11] محمد بن سيدي محمد مولاي الدكتور : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الاولى 1429-2008م ص 37

[12] انظر : تيجاني زبير رابع : نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا. ص 12

[13] الفلاتي : الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد ، الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديث الكويت الطبعة الأولى سنة 1415هـ 1994م . ص 50

[14] انظر: الودغيري: عبد العلي: الدكتور: ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع . ص 4

[15] انظر : تيجاني زبير : نمط الدراسات القرآنية ص 3

[16] انظر : الطيب بن عمر الدكتور ، مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في موريتانا : الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي : بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب افريقيا التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي – نيامي – النيجر 1430 هـ 2009م ص 87

[17] انظر : تيجاني زبير رابع : الدكتور : مساهمة علماء نيجيريا في التفسير .. بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان عام 2012م ص 3

[18] انظر : المرجع نفسه ص 5

[19] انظر : عبد الله سابع علي : جهود الشيخ تجاني رابع وإسهاماته في نشر القرآن الكريم والدراسات الاسلامية . بحث مقدم إلى قسم الدراسات الاسلامية والشريعة جامعة بايرو كنو للحصول على درجة الماجستير 2019م. ص 19

[20] انظر : غلادنثي : شيخ أحمد سعيد البروفيسور : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 الى سنة 1966م المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية 1993م ص 42

[21] انظر : الوري : الاسلام في نيجيريا ص 57

[22] مولاي: الدكتور حسن : ديناميكية الجمعيات الإسلامية في النيجر، ص 5

[23] انظر : آسية بنسلمون: الكتاتيب القرآنية، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم : العدد الثالث من مجلة مقاربات التي يصدرها المجلس الإسلامي السوري. ص 53

[24] المرجع نفسه . نفس الصفحة

[25] انظر : المرجع نفسه ص 54

[26] انظر : المرجع السابق مفس الصفحة

[27] تيجاني زبير : نمط طالدراسات القرآنية ص 23

[28] رصيف فلَان يحاكيه فِي عمله . انظر : معجم الوسيط 349/1

[29] انظر : الطيب بن عمر الدكتور : الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي ص 87

[30] انظر : الطيب : الكتاتيب وحلقات القرآن الكريم ودورها التعليمي ص 93

[31] راجع : المرجع السابق ص 95

[32] تيجاني زبير : نمط الدراسات القرآنية ص 25

[33] انظر : آسية بنسلمون : الكتاتيب القرآنية، ص54